ذكرى المولد النبوي (١٢ ربيع أول)

مع
الرسول والرسالة

تقديم

إن الموقف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي نعرفه ويُعلن ويُنشر من جانب أعدائنا من اليهود والنصارى هو يستهدفنا في ديننا، واستهدافنا في ديننا هو أخطر أنواع الاستهداف، الاستهداف لنا في ديننا هو استهداف خطير، خطير علينا جداً لأن... إن أُبعدنا عن ديننا نفقد تأييد الله، نخسر أن يكون الله معنا، نخسر مصدر قوتنا وعزتنا وقوامنا؛ فلذلك يجب أن نكون واعين، يجب أن نعي لماذا، لماذا يستهدفون الرسول؟ لماذا يعملون على تشويه صورته؟ لماذا تتكرر منهم الإساءات إليه؟ لماذا في هذا العصر تتكرر بشكل أكبر من أي العصور الماضية؟ هذا الاستهداف... إذا لم يقابله وعي منا بخطورته، بأهدافه، ووعي منا في مواجهته، وفي الموقف منه، فإننا من سنخسر، ليس الرسول هو من سيخسر، وليس الرسول هو من يتضرر، نحن من سنخسر، ونحن من سنتضرر[1].

رسالات اللّه عبر التاريخ

منذ أن خلق الله الإنسان ومنذ بداية مشواره في الحياة منذ آدم أبو البشر وهدى الله ووحيه ونوره يواكب مسيرة الحياة البشرية، ينير لها الطريق، ويرشدها إلى الخير، ويبقيها على ارتباط في شؤون حياتها مع الله الخالق الملك، وحجة لله على عباده، ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]؛ لأن الإنسان في حياته هذه مسؤول عن أعماله وعن أقواله وعن مواقفه وعن قراراته، ومسؤوليته عظيمة وجسيمة، وعظم الجزاء يدل على عظم المسؤولية، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨][2].

وعلى مدى تاريخ البشرية في أممها الغابرة أرسل الله رسله لهداية البشر وتزكيتهم ورسم طريق الحق والخير وإقامة العدل، وإزالة الظلم والمنكر ودفع الفساد وقيادة البشرية إلى سعادتها في الدنيا والآخرة، وقد كانت تجربة كثير من الأمم تجربة فاشلة، أودت بها إلى

(١) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.

الهلاك والخسارة الرهيبة، وكان من أهم الأسباب ارتباط تلك الأمم بطواغيتها ومجرميها، وإعراضها عن الأنبياء وعن رسالة الله جل وعلا، مثل قوم نوح، ومثل عاد، ومثل ثمود، والفراعنة، وغيرهم من الأمم(٣).

وقد ختم الله رسالته بعد سلسلة طويلة من الرسل، عشرات الآلاف من الأنبياء والرسل برسوله الخاتم، محمد صلى الله عليه وعلى آله، رسولاً ونبياً إلى العالمين، في المرحلة الأخيرة والحقبة المتبقية لحياة البشرية، واقتراب الساعة، وقد اصطفاه الله ومنحه المؤهلات العظيمة ليكون بمستوى مسؤوليته العالمية زكاءً عظيماً، وخلقاً عالياً، فكان أعظم وأنجح قائد عرفه التاريخ، رسولاً حكيماً بما منحه الله من الحكمة، ورحيماً وحريصاً على هداية الناس وسعادتهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨](٤).

وبتلك المؤهلات التي أوصلته إلى منتهى الكمال البشري ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] نهض قائماً بمسؤوليته العالمية التي يترتب عليها سعادة البشرية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وبالحق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [البقرة:١١٩] يهدي إلى الصراط المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢](٥).

وقد عظمت منة الله به على العرب قبل غيرهم من الأمم قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة:٢-٣] يعني الأجيال اللاحقة التي لم تكن قد وجدت، ومنها جيلنا وعصرنا، ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٣-٤](٦).

وقد بذل صلى الله عليه وآله كل جهده في تغيير الواقع السيئ الذي كان يعيشه العرب الأميون والعالم آنذاك، وهو واقع طغى عليه الجهل والخرافة والشرك والكفر والفساد والرذيلة والنهب والسرقة والتفرق، يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة ويشربون الخمر، ويئِدون البنات،

(٣) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٤) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٥) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٦) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.

ويمتهنون النساء، ويرتكبون الفواحش، ويأكل القوي منهم الضعيف في جاهلية جهلاء وضلال مبين وضياع للحياة، لا هدف ولا مبادئ، على شفا حفرة من النار[٧].

لكن الرسول صلى الله عليه وآله بما منحه الله من حكمة ومؤهلات قيادية عظيمة وبالهدى الـذي أتى به من عند الله، وبجهاده وصبره وتضحياتـه العظيمة هو والمؤمنون معه تمكن وفي فترة وجيزة من تغيير ذلك الواقع بكله، وبنور الله محا ظلمات الجهل، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وطهر الجزيرة العربية من تلك المفاسد والرذائل، وأحدث تغييراً كبيراً، وحول ذلك المجتمع الجاهلي إلى مجتمع تسـوده مكارم الأخلاق، يعبد الله ويجاهد في سـبيله، ويحمل قضية عظيمة مقدسـة، وأرسى دعائم العدل، دعائم العدل وحقق الأمن والسلام والعزة، وأعاد للإنسـان كرامته الإنسـانية، وقوض الإمبراطوريات الظالمة، وبنا أمة قوية موحدة عزيزة زاكية آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مصلحة في الأرض، وتحقق لها رفاه العيش وكرامة الحياة[٨].

أمة في داخلها الرحمة والتكافل والتآخي والتعاون، وفي مواجهة أعدائها قوية صلبة ثابتة لا تقبل بالإذلال ولا بالضيم كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُـولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ [الفتح:٢٩][٩].

ورسـول الله محمد صلى الله عليه وآله لم يكن فقط رسـول عصره، بل هو رسـول الله إلى العالميـن من عصره وإلى قيام السـاعة، وفي منهجيته وحركته الرسـالية كان يحسـب حسـاب الأجيال الآتية، ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ إضافة إلى سـعة المنهج الإلهي الشـامل الذي يتسع للحياة، وشؤون الحياة مع تغيراتها وأحداثها ومستجداتها إلى قيام القيامة[١٠].

(٧) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٨) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٩) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(١٠) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.

كيف نتحدث عن الرسول محمد

نتحدث اليوم عن الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) فيما هو أهم من الحديث عن كيف حملت به أمه آمنة وكيف ولدته، إننا سنتحدث عن رسالته، وعن قيادته، وعن أخلاقه، وعن جهاده، وعن حكومته، وعن دولته، وعن جوانب متعددة من عظمته، ونتحدث عن كيف ينبغي أن تكون علاقتنا به، وتأثرنا به، واتباعنا له، وحديثنا عن هذا كله إنما هو من واقع الحاجة والضرورة[١١].

إن إحياء ذكرى مولد النبي هو مناسبة للحديث عن الرسول ومبعثه ومنهجه ورسالته، وعن واقع الأمة وتقييمه، وهو أيضاً من الإشادة بذكره، والله أراد لنا أن نشيد بذكر رسوله، الله سبحانه وتعالى حينما قرن الشهادة برسالته مع الشهادة بوحدانيته في الأذان والصلاة كل يوم وليلة خمس مرات، وحينما قال (ورفعنا لك ذكرك) لأنه أراد أن يبقى رسول الله حياً في وجداننا، حاضراً في أذهاننا، فصلتنا بهذا النبي هي صلة بالرسالة، صلة بالهدى، وارتباط بالمنهج الإلهي، وارتباط بالرسول في موقعه في الرسالة هادياً وقائداً ومعلماً ومربياً وقدوةً وأسوة، نهتدي به، ونقتدي به، ونتأسى به، ونتأثر به، ونتبعه[١٢].

وما أعظم حاجتنا وحاجة البشرية إلى ذلك، لأنه لا نجاة ولا سعادة للبشرية إلا به، وإن أكبر ما جلب الشقاء والمعاناة على البشرية هو ابتعادها عن هدى الله، ومخالفتها لتوجيهاته، قبل خلق الإنسان وقبل أن يكون شيئاً مذكورا أخبر الله ملائكته في السماء بأنه جل شأنه خليفة له على الأرض، ذلك الكوكب العجيب الفريد في العالم، وأن هذا الخليفة هو الإنسان[١٣].

(١١) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(١٢) خطاب المولد ١٤٣٦هـ.
(١٣) خطاب المولد ١٤٣٦هـ.

الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب

إقامة العدل وازالة الظلم:

عند العودة إلى القرآن الكريم نعرف أن الهدف من ذلك هو الخير للناس، هو لمصلحتهم، هو لسعادتهم، هو لإنقاذهم، هو لصلاحهم وفلاحهم، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] ومن مفاهيم القسط هو العدل، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالله جل شأنه رحيم بعباده يريد سعادتهم، يريد فلاحهم، يريد لهم الخير، يريد لهم ألاَّ يُظلموا، ألاَّ يُقهروا، ألاَّ يُستذلوا، ألاَّ يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فأرسل رسله، وأنزل كتبه التي فيها هديه وتعاليمه العظيمة ودينه القيم، هذا كله من أجل الناس ليقوم العدل فيهم وليعم الصلاح وليعم الخير، يترتب على ذلك كله زوال الظلم وزوال الفساد وزوال الشر، وكل هذه الثلاثيات يعاني منها الناس في حياتهم [الظلم، والفساد، والشر][١٤].

إذا عدنا... إلى واقع الأمة الإسلامية في هذا العصر ونظرنا إلى ما هي عليه، وما يلحق بها من ظلم وإذلال وقهر، وما هي فيه من شتات وفرقة وانحطاط وتخلف، نعرف مدى خسارتها حين أضاعت مسؤوليتها في التمسك برسالة الله وإقامة دينه الذي يكفل لها قيام العدل؛ فلنفهم أن طريق الخلاص من الظلم والهوان لكل شعوب أمتنا، والطريق إلى تحقيق العدل، وإزالة الظلم، وتعميم الخير، وإبعاد الشر، وتحقيق السعادة، الطريق إلى ذلك هو إقامة رسالة الله التي تتمثل بكتابه ودينه[١٥].

هداية الانسان وتربيته:

غاية أخرى من الرسالة الإلهية هي إصلاح الإنسان وتربيته والارتقاء به وتكريمه وهدايته؛ ولذلك يذكِّرنا الله بعظيم النعمة علينا - نحن العرب - حينما يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤] ولأن أمتنا في

(١٤) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.

(١٥) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.

هـذا العصر فقدت تفاعلها مع رسـالة الله ودينه ونبيه فقد خسـرت العـدل، وغرقت في الظلم، وفقـدت زكاء النفوس وكان البديل هو الانحطاط والسـوء، وفقـدت الحكمة وكان البديل هو الغباء والتخبط في المواقف والعشوائية في العمل واللغو في الكلام(١٦).

وعندمـا نعـرف أن الغاية والهدف هو هذا العدل والخير والسـعادة وزكاء النفوس والسـمو بالإنسـان والوصول به إلى خير الدنيا والآخرة، ونجاته من الشـر في الدنيا والآخرة، نعرف أن الرسالة والدين والرسل من مظاهر رحمة الله بعباده؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] (١٧).

الرسـول محمـد صلـى الله عليـه وآله وسـلم في ضمن سلسـلة طويلـة من أنبيـاء الله هو خاتمهم وأخيرهم، تحرك على هذا الأساس، رسالته لإنقاذ الناس، لهدايتهم، لتسمو نفوسهم، ولتزكيتهم، ولتحقيق العدل فيهم، ولإزالة الظلم عنهم، ولنجاتهم في الدنيا والآخرة(١٨).

وتحـرك ضمن المواصفـات العظيمة لإقامة هذا الدين، ولقيادة البشـر إلى ما فيه صلاحهم وخيرهـم، تحـرك بمواصفات عظيمـة، مواصفات من الله جـل وعلا تجعله مؤهـلاً لأن يقود البشرية تحت راية الله، على أساس هدى الله العظيم(١٩).

التحرر من العبودية للطاغوت:

يتحقق للناس من خلال اتباع الرسـول والقرآن التحرر من عبودية الطاغوت المذلة والسيئة والتي هي شـر محض، ويتحقق لهم عبادة الله بشـكل صحيح في إقامة دينه متكاملاً بما يحقق الخيـر لهـم والعـزة والفـلاح، ولا يمكـن أن يقبل الله مـن عبـاده أن يطيعوه في بعـض الأمور المحدودة وما تبقى من أمورهم للطاغوت، كما يتصور البعض – وهم مخطئون – أنه يكفي من حياتنا خمس خصال لله والباقي من كل شـؤون حياتنا ومواقفنا تكون على ما يريد الطاغوت، هذا خطأ كبير(٢٠).

فالله جل شـأنه يقـول في القـرآن الكريم: ﴿فَمَـنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُـوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَـكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، ومن خلال هذه الآية القرآنية

(١٦) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(١٧) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(١٨) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(١٩) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٢٠) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

المباركـة يتضح أنـه لا يتحقق الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغـوت، ومن هذا المنطلق بعث الله خاتـم رسـله وأنبيائـه محمد (صلى اللـه عليه وآله) بمشـروع متكامل عظيم مرتبـط بملك الله ورحمتـه؛ لإصلاح البشـرية ودفعهـا إلى عبادة اللـه، وإنقاذها من الطاغـوت والظلم والهوان، ولتحقيق العدل، وإتمام مكارم الأخلاق، والسمو بالإنسان ليقوم بمسؤوليته في الحياة مع مبدإ الثواب والعقاب، كما يقول الله جل شـأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَـلْنَاكَ شَـاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨][٢١].

(٢١) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

أهمية تعزيز الارتباط بأنبياء الله

لقد كشفت الأحداث والوقائع أن هذه الأمة تجهل الكثير، الكثير عن نبيها، هذا الفتور في أوساط الأمة الإسلامية، وهذه البرودة لدى الناس، هذا التجاهل واللامبالاة أمام ما يُقال عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكشف أن هذه الأمة تجهل الكثير، الكثير عن نبيها، عن حاجتها إليه، حاجتها إلى تعاليمه، حاجتها إليه أن يكون هو، هو من تقتدي به وتتأسى به، وتستلهم منه الدروس، وتأخذ منه التعاليم، وتعرف أهمية توجيهاته صلى الله عليه وآله وسلم [٢٢].

فعندما نلحظ هذه البرودة، هذا التجاهل في العالم الإسلامي أمام هجمة خطيرة، وتستهدف أعظم رمز للمسلمين من الرموز العظماء من أنبياء الله وأوليائه، نرى حاجتنا إلى أن نعرف الرسول، نعرف صلتنا بهذا الرسول، نعرف ماذا يعني لنا محمد، ماذا يعني لنا هذا الرجل العظيم، نعرف الخطورة الكبيرة حينما نُفصل عنه ونُبعد عنه، وحينما يكون هو في نظرنا شخصية مشوهة وغير مقدسة نبتعد عنه؛ وبالتالي نبتعد عن تعليماته وعن توجيهاته وإرشاداته[٢٣].

رسل الله (صلوات الله عليهم) هم صلة لنا بالله جل وعلا، وهم حجج الله على خلقه وعباده، أرسلهم الله مبشرين ومنذرين ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] بعد الرسل ليس للناس هناك أي حجة أمام الله؛ لأن الله ملك، ملك الناس، وملك الخلق، ويؤاخذ، ويعاقب في الدنيا والآخرة، وبيده الجزاء كما أن بيده الحساب، وبيده الملك، فأمام هذا، أمام ملك الله، في المسؤولية أمام الله حينما أرسل الله رسلاً إلى عباده مبشرين ومنذرين، مرشدين إلى الحق، دالين على طريق السعادة، يقدمون الحلول الصحيحة لمشاكل البشر، ويرشدون البشر إلى ما فيه عزهم وفلاحهم ونجاحهم، وأن يعيشوا حياة كريمة في الدنيا، ثم يكون مستقبلهم في الآخرة إلى السعادة العظيمة، وأن يسلموا الشقاء، يسلموا عذاب الله وانتقام الله وبأس الله جل وعلا[٢٤].

إن الواقع العالمي الذي تقوده قوى الطغيان وتصنعه قوى الطغيان وفي مقدمتها أمريكا والذي غابت عنه القيم وغاب فيه الارتباط بالأنبياء شاهد على حاجة البشرية إلى التغيير والعودة إلى القيم وإعادة دور التأسي والاقتداء بأنبياء الله وخاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله)، وتعزيز الارتباط بأنبياء الله[٢٥].

---

(٢٢) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢٣) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢٤) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢٥) خطاب المولد ١٤٣٤هـ.

من معالم الرسالة المحمدية

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لديه مشروع تسلط، ولا مشروع قهر، ولا مشروع استعباد للناس، ولا إذلال للناس، هو بنفسه في الوقت الذي يقود فيه الأمة، هو بنفسه كان مجرد متبع، متبع، لم يكن لديه هيمنة على الناس ولا إذلال ولا استعباد، هو كان في الوقت الذي يقود فيه الأمة مجرد متبع لما أنزل الله؛ لأنه جاء عبداً لله، جاء عبداً لله؛ ولذلك كان يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ بل قال له الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [الأحزاب:١-٢][٢٦].

... إن الزعماء العرب والأنظمة العربية تريد منا - نحن الشعوب - أن نعاملها وأن نعطيها أكثر مما لرسول الله، أكثر مما لرسول الله[٢٧].

تعبيد الناس للّه:

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يفرض هيمنة شخصية له على الناس، لم يكن يريد من الناس أن يسيروا في حياتهم وفق مزاجه، ووفق هواء نفسه، وأن يأمرهم بما يريد هو، ويفرض عليهم شيئاً من نفسه على الإطلاق، على الإطلاق[٢٨].

الرسول كان فقط يسير بالناس معه على ضوء تعاليم الله، يُعبِّد الناس لله فقط، لا يعبدهم لنفسه، لا يفرض عليهم أشياء لنفسه، ومن أجله هو، أو من عنده هو، كان مع الناس، مع الناس متبعاً، متبعاً لهدى الله، متبعاً لما أنزل الله، يبلغ رسالات الله وأوامر الله ثم يطبقها مع الناس، يعمل بها مع الناس، لكن ما يريده منا الزعماء العرب هو أكثر مما كان لرسول الله، لم يكن لرسول الله أن يأمر من نفسه، وأن يُسيِّر الناس على نفسه، أن يتحكم على الناس بشيء من نفسه هو، كان يقول: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وكان يتقيد بأوامر الله، يأمر بما أمر الله وينهى عما نهى الله؛ لأنه لا يريد أن يكون الناس عبيداً إلا لله، إلا لله، أما هؤلاء فإنهم يريدون أن يستعبدونا، أن يُسيِّرونا في حياتنا وفي مواقفنا على أهوائهم، لمصالحهم الشخصية،

---

(٢٦) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢٧) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٢٨) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

لأطماعهم، أن يستذلونا، أن يقهرونا، أن يستعبدونا، وهذا شيء غير مقبول فلم يكن حتى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢٩].

... الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قام بمسؤوليته على أكمل وجه، وبلغ البلاغ المبين، وجاهد في سبيل الله؛ لأن الله جل شأنه جعل إقامة هذا الدين يقترن بها الجهاد في سبيل الله، الله يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥] أنزل الله مع الكتاب وأنزل مع الرسل الحديد، الحديد[٣٠].

التربية الجهادية:

الإسلام... يربي رجالاً يحملون الحديد فيذودون به عن هدى الله، فيواجهون به الطغاة، ويواجهون بالحديد المستكبرين، ويواجهون بالحديد الطامعين الذين يريدون أن يطفئوا دين الله[٣١].

إن دين الله يربي رجالاً، ينتج رجالاً، ينتج أبطالاً يخلعون ثوب الذل، وكذلك يكونون بعيداً عن السكينة المسكنة والهوان والإذلال والتعاسة، رجالاً أعزاء بعزة الله العزيز، وبعزة رسوله العزيز، وبعزة القرآن العزيز، أنزل الله الحديد ليكون أبناء الإسلام، أمة محمد، أتباع محمد رجالاً يحملون الحديد فيدافعون بالحديد عن أنفسهم، وبالحديد الذي حمله رسول الله درعاً، وبالحديد الذي حمله رسول الله سيفاً، وبالحديد الذي حمله رسول الله سهماً، تحرك رسول الله كأعظم قائد عسكري وبطل ورجل عظيم ليقارع الطغيان، ليقارع المنكر، واجه اليهود وهزمهم، وواجه مشركي العرب وطغاة العرب، والمفسدين من العرب وهزمهم، وواجه أيضاً النصارى بكل إمكانياتهم العسكرية وانتصر عليهم[٣٢].

هذا هو رسول الله الذي خاض الكثير من المعارك ذوداً عن الحق، من أجل المستضعفين، من أجل المظلومين، من أجل إقامة الحق، من أجل إزالة الظلم وإزالة الطغيان، على هذا

(٢٩) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٣٠) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٣١) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٣٢) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

الأساس قام الدين، وقام الحق، وقام العدل، وأصبح للمسلمين كيان عزيز، وكيان مقتدر وقوي[٣٣].

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بجهاده العظيم حتى وهو يحتضر، وهو يحتضر على فراش الموت كان قد أعد سرية جهادية، أعد جيشاً مجاهداً وهو يقول: «**أنفذوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة**»، بهذه الجهود العظيمة التي بذلها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبلغ ثم وهو يقاتل، ثم وهو يربي، ثم وهو يعلم، ثم وهو يصلح، بهذه الجهود العظيمة قام للإسلام كيان عزيز وعظيم وقوي، لكنه فيما بعد تضعضع ذلك البنيان وحصل تراجع لدى المسلمين، في التراجع عن تلك التعليمات المهمة والعظيمة، وفي نفس الوقت مع هذا التراجع الذي صحبه ذلة وهوان، وصحبه تشتت وفرقة، وصحبه انعدام للضمير وانعدام للشعور بالمسؤولية، وانحطاط في القيم، حتى أصبح أغلب المنتمين للإسلام يحملون نفوساً مهزومة ومأزومة وضعيفة وهزيلة، وفي نفس الوقت أصبحوا قابلين لأن يُظلموا وأن يُستذلوا وأن يُقهروا وأن يُهانوا[٣٤].

ترسيخ المسؤولية:

من أهم الغايات في الدين في رسالة الله سبحانه وتعالى المسؤولية الإنسان تربيته حتى يتحمل المسؤولية وليعرف انه إنسان مسؤول له دور مهم في الحياة وأتباع الرسالة الإلهية من ينتمون للإسلام من يدّعون الإيمان لهم مسؤولية حمّلهم الله إياها وهي مسؤولية عظيمة مشرِّفة يحظون من خلالها بأن يكون الله معهم وأن ينصرهم وأن يعزهم وأن يمكّنهم في أرضه وإذا تخلوا عنها يكون نصيبهم الخذلان والضعف والعجز والوهن وتتسلط عليهم الأمم[٣٥].

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً أمة الرسالة أمة محمد أتباع محمد المنتمين إلى دين محمد: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران ١١٠]. هكذا أراد الله لأمة الرسالة أن تكون أمة مسؤولة آمرة لكن تأمر بالمعروف وتحقق المعروف وتسعى لإقامة المعروف واقعاً في الحياة أمة ناهية أمة ناهية تنهى عن المنكر وتزيل المنكر وتطهر ساحتها الداخلية ومجتمعها الداخلي من المنكر ثم تنهى الأمم الأخرى عن المنكر وتصلح في عباد الله وتصلح في أرض الله ولن يحمّل الله

(٣٣) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٣٤) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٣٥) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.

أمة الرسالة هذه المسؤولية ويتخلى عنهم، لا. بل ويكون هو معهم يكون هو وليّهم يكون هو ناصرهم يكون هو من يمكّن لهم يكون هو من يقذف الرعب في قلوب أعدائهم[٣٦].

ولهذا... حينما نتأمل في واقعنا كم خسرنا أمة الإسلام بشكل عام، شعوب المنطقة العربية والعالم الإسلامي بشكل عام، كم كانت الخسارة فادحة وكبيرة جداً جداً جداً حينما ابتعد الناس عن الإسلام بغاياته عن الإسلام بأهدافه، فأرادوا إسلاماً لله منه الصلاة والصوم ثم للطواغيت كل شيء كل شيء الأمر النهي الطاعة في كلما أرادوا وهذا لا يمكن أن يثمر إسلاماً لا ثمرة له أرادوا إسلاماً ويبقى الظلم دون أن تقوم الأمة بمسؤوليتها في إقامة العدل ليقوم الناس بالقسط وأنزل لهم الحديد ليحققوا هذا الهدف الأسمى والأعظم وأرادوا إسلاماً بدون مسؤولية يريدون أن يكونوا مسلمين لكن غير آمرين بالمعروف ولا ناهين عن منكر ولا متوجهين لإصلاح واقع الحياة فكانت النتيجة أن أصبحت أمة الإسلام إلى أمة تُؤمر بالمنكر وتنهى عن المعروف وأُغرقت في المنكر والفساد والظلم والطغيان وشُتّتت وفرقت وهانت هواناً لم يهن مثله أحد من الأمم[٣٧].

(٣٦) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.

(٣٧) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.

عالمية الرسالة

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحرك ضمن مسؤولية عالمية، مسؤولية عامة، فمسؤوليته هو وأمته مسؤولية ترتبط بالناس عموماً وليس بالعرب خاصة، مسؤولية ترتبط بالعالمين، كما يقول الله جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف:١٥٨]، وعلى هذا الأساس تتحمل أمة هذا النبي المسؤولية في أن تعمل على إقامة الحق والعدل ونشر الهدى على مستوى الأرض، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وهذا المشروع الذي يتحمله هذا النبي وتتحمله هذه الأمة ليس عبئاً، ليس كارثة، بل إنه شرف عظيم، والله جل شأنه حين كلف نبيه بهذا المشروع، وحين حَمَّل هذه الأمة هذا المشروع وهذه المسؤولية ليس على أساس أن يكون بعيداً عنهم، كلا، بل على أساس أن هذا مشروع إلهي مكتوب له النصر ومعه الله، وتحرُك الأمة فيه هو لصالحها، بذلك تنتصر وبه تعتز، وبه يكون الله معها ناصراً وهادياً ومعيناً وموفقاً ومسدداً[٣٨].

يقول الله جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣][٣٩].

(٣٨) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

(٣٩) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

جوانب من شخصية الرسول

الرحمة بالناس:

﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، رسول يحمل الرحمة لهذه الأمة، ويعز عليه أن يلحق بها أي ضرر، كل سعيه كل جهده كل اهتمامه فيما يفيد هذه الأمة، فيما يدفع عن هذه الأمة الشر، إرشاداته كذلك هي على هذا النحو، ويحمل الرحمة وبالرحمة يتحرك في أمته مرشداً وهادياً ومربياً، يحمل الحرص الكبير والتألم على واقع البشر، يحرص على أن يهتدوا وأن يؤمنوا وأن يفلحوا، ويحرص على نجاتهم؛ ولذلك قال الله عنه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣][٤٠].

لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متجبراً على أمته، بل يعامل أمته على أساس الخير والرحمة، وعلى أساس الحرص على ما فيه صلاحها وسعادتها، ويتحرك على أساس هذه القيم وبهذه الروح كرحمة من الله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وفي نفس الوقت يتحرك في مواجهة الأشرار، وفي مواجهة الطاغوت، وفي مواجهة الظالمين والمفسدين، يتحرك بعزيمة عظيمة وبعزة قال عنها الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ولرسوله[٤١].

العزة وعدم الخضوع للباطل:

فمحمد ذلك الرجل العظيم الرحيم الكريم كان عزيزاً يأبى أن يخضع لباطل، ويأبى أن يُذَل، ويأبى لأمته أن تذل، وربى أمته على أساس العزة ومفاهيم العزة، ألاّ يكون لديها القابلية للإذلال والقهر والاستعباد، فتحرك تحت راية الله، لم يتحرك في حروبه لا ظالماً ولا متجبراً ولا مستكبراً ولا طاغياً، حمل راية الله، وتحرك على أساس العدل، ولأجل الحق، وبالحق قاتل، وبالحق تحرك، وواجه الطاغوت عند العرب وعند اليهود وعند النصارى، وخاض المعارك تلو المعارك، وحرَّك فرق الجيش الإسلامي في السرايا والغزوات والحروب حتى رست راية الحق، وتحقق العدل، وعمَّ الخير، وانتشر نور الله؛ فأصبح واقع أمتنا العربية واقعاً

(٤٠) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٤١) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.

عظيماً، أمة استبدلت من الذل العز، أصبحت أمة عزيزة، وأمة كريمة، وأمة لها قضية عظيمة، ولها مشروع عظيم يوصلها بالله ويكسبها رضوان الله، ويوصلها إلى جنة الله[٤٢].

هكذا كانت حركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا كان وهو في موقع قيادة الأمة، لا متجبراً ولا ظالماً ولا طاغياً، وتحرك كعبد لله[٤٣].

عندما كان قائداً للأمة ومصحوباً بالنصر الإلهي، ومسدداً من عند الله لم يكن همه أن يستعبد الناس، ولا أن يفرض عليهم إرادة شخصية، أو أن يفرض عليهم هوىً من نفسه كان يقول كما علمه الله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] وتلقى تعليمات الله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]، وتقبل تعليمات الله التي تقول له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [الأحزاب:١-٣]، هذه بعض الجوانب بأخلاقه وصفاته، وإلا فالحديث عنه حديث يرتبط بكل هذا الدين؛ لأن هذا الدين يربطنا به في كل مجال من مجالات الحياة[٤٤].

كيف يكون ارتباطنا بالرسول ؟

أن نكون من أمة محمد يجب أن يكون هذا الانتماء انتماء العمل، انتماء الإتباع، انتماء التمسك، أن نكون كما يريده محمد منا، محمد رسول الله يريد لنا أن نكون أعزاء كما كان عزيزاً، وكما الله عزيز ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] وللمؤمنين، يريد لنا أن نكون مجاهدين، أن نكون رجالاً في مواجهة أعدائنا، ألا نبقى أمة ذليلة يقتلها أعداؤها يومياً، يستبيحون دماءها ويستبيحون كرامتها، أما من لا يتبع محمد، ولا يتمسك بمحمد، لا يسير على درب محمد، ولا يتمسك بتعاليم محمد فهو من يتبرأ منه محمد ويلعنه محمد[٤٥].

... حينما نتحرك لأن ندعو أنفسنا وندعو الناس لأن يتبعوا ما أنزل الله، عندما نسعى لأن نكون نحن وأنتم أمة عزيزة، أمة تعمل وتتبع ما أنزل الله، وتتخلق بالأخلاق التي هي من أخلاق رسول الله، ومن أخلاق القرآن التي هي من تعاليم الله جل وعلا، حينما نسعى لإيقاظ

(٤٢) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٤٣) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٤٤) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٤٥) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

هذه الأمة، ولأن تكون أمة تتحلى بالمسؤولية والصدق والقيم العظيمة والنبيلة، وأن تكون أمة تعمل وتصمد، أن تكون أمة فوق اليهود، فوق النصارى، فوق المشركين، لا أن تكون أمة تحت أقدام الأمم الأخرى(٤٦).

إنما ندعو إلى ما دعا إليه محمد رسول الله، إنما نسعى لأن تكون هذه الجهود امتداداً لجهوده، مباركة لجهوده، استمراراً على دربه ونهجه، وسيراً في طريقه(٤٧).

فلذلك... من يتجاهل في هذه الفترة التي وصل فيها كيد الأعداء إلى تناول محمد، والإساءة إلى الله، الإساءة إلى الرسول، الإساءة إلى القرآن، من يتجاهل ولا يبالي، من يبقى لا يشعر بالمسؤولية، ولا يهتم ولا يعمل ولا ينطلق، لا يتحرك ضميره، ولا تهتز فيه شعره هو إنسان حُكم عليه بالموت، حُكم عليه بالهلاك، حُكم عليه بالخذلان من الله؛ لأن حجم الأحداث والواقع الذي نعيشه يحرك كل من بقي له ضمير، يحرك كل من بقي في قلبه ذرة من الإيمان وإحساس بشيء من المسؤولية أمام الله جل وعلا(٤٨).

هذا الواقع المهم... والواقع المليء بالأخطار، المليء بالأخطار ولا يمكن مواجهة تلك الأخطار إلا بالعودة إلى الرسول والقرآن، العودة إلى الرسول، إلى حكمته، الحكمة التي علمنا إياها فيما علم، فيما قال، فيما فعل، فيما عمل، الحكمة التي قدمها من القرآن الكريم وهو كما يُقال كان خُلقه القرآن، بل كما يقول هو: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ أمام الأخطار التي نعيشها في حال بقيت الأمة متجاهلة لمثل هذه الأمور المهمة فإن العاقبة هي الهوان، هي الهيمنة، هي السيطرة للأعداء(٤٩).

يقول الله جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة:٢-٣]، هكذا أراد الله لنبيه، وهكذا هي مهمته، وعلى أساس أن يكون ارتباط هذه الأمة الارتباط الذي يتيح هذه الثمرة، ارتباطاً ينتج هذه النتيجة، أن ترتبط هذه الأمة بنبيها، بمنهجه، بمساعيه، بجهده وعمله كقائد وكمربي وكمعلم؛ لتزكوا النفوس وليستفيد الناس الحكمة والهداية، وإلا فلا يمكن حينما تكون الأمة مبتعدة عن نبيها وعن تعاليمه بل وجاهلة به، وجاهلة بتعاليمه، لا تستفيد لا زكاءً ولا تكسب

(٤٦) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٤٧) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٤٨) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٤٩) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

حكمة، ولا تستفيد عزةً، ولا تصل إلى نتيجة(٥٠).

أراد الله لهذه الأمة أن تكون مرتبطة بنبيها الارتباط القائم على أساس الولاء الصادق والطاعة، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [النساء: ٦٤] أمة تقتدي بنبيها، تتعرف على هذا النبي، على صفاته، تستفيد من هديه، تستفيد من حياته، من منهجه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١](٥١).

إنما نحتاج إليه... أن نستحضر كمسلمين هذا الانتماء وهذه العلاقة وهذا الإيمان في واقع حياتنا، في سلوكنا وأخلاقنا، في مواقفنا وقراراتنا، في ولاءاتنا وعداءاتنا، وفي منطلقاتنا في مسارات الحياة كلها، وأن نرسخ الولاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأن نستلهم منه العزم وقوة الإرادة والعزة والشجاعة والصدق والخير والإحسان وتعبيد النفس لله جل وعلا، وبالرسالة منهجاً نسير عليه في كل شؤون حياتنا، وبالرسول قائداً وقدوة وأسوة حسنة نستطيع أن نغير واقع أمتنا إلى الأفضل، ونستنقذها من هيمنة أعداءها وسفهائها وأشرارها(٥٢).

يجب أن نعرف بعض الأمور تتعلق بنا نحن أمته، يجب أن نعرف ارتباطنا بهذا الرسول أنه ولينا، له علينا ولاية، ولّاه الله علينا حينما قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] هذا جانب من العلاقة به، علاقة الولاية، أنه ولينا له ولاية علينا أولى بنا حتى من أنفسنا، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥] ولايته علينا بعد ولاية الله وهي امتداد لولاية الله العظيم(٥٣).

هذه الولاية وهذه القيادة له علينا أيضاً تابعاً لها حق الطاعة وطاعته من طاعة الله ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، الرسول يمثل بالنسبة لنا القدوة الأول الذي به نقتدي – هذا ما يجب علينا – وبه نتأثر وعلى أساس تحركه نتحرك، هكذا علمنا الله في القرآن الكريم، وهكذا خاطبنا الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] وهذا شيء للأسف، للأسف الشديد أضاعته الأمة، مسألة الإقتداء

(٥٠) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٥١) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٥٢) خطاب المولد ١٤٣٣هـ.
(٥٣) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.

بالنبي، التأسي به، التأثر به، التحرك على أساس تحركه، والوقوف على أساس مواقفه أضاعت الأمة ذلك، وكان البديل ارتباطات أخرى، ارتباطات سيئة[٥٤].

(٥٤) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.

خطورة المرحلة التي تعيشها الأمة

إن أمتنا الإسلامية تحتاج إلى النظر بجدية واهتمام إلى واقعها الخطير جداً والسيئ للغاية، ومعاناتها الكبيرة، ووضعها المزري، وحالة السقوط المدوِّي المستمر الذي هي فيه، وحالة الشتات والجهل والفرقة، وضياع المبادئ والأخلاق، وحالة الذل والهوان، وحالة الشقاء والعناء، وحالة الظلم والقهر والأسى، وحالة الهيمنة عليها من أعدائها السفاحين الحاقدين المجرمين شرار أهل الأرض[٥٥].

في كل هذه الحالات فإن الأمة الإسلامية في المنطقة العربية ومناطق أخرى من العالم أسوأ وضعية وأحط مقاماً وأكثر ذلاً وهواناً وأفظع ظلماً وعناءً بين كل أمم الأرض، وتدور على رأسها رحى المؤامرات الأمريكية والإسرائيلية، وزاد من سوء وضعها ومن حجم معاناتها الدور السيئ والسلبي والمخزي والمعيب لزعمائها وحكوماتها وجيوشها؛ حيث تحولت تلك الأنظمة والحكومات والجيوش في معظمها وبدون خجل ولا ضمير ولا مسؤولية إلى أداة قذرة مخلصة لأعداء الأمة، ولا تتورع من فعل أي شيء ضد شعوبها وأبناء أمتها مهما كان ظلماً ومهما كان عاراً، ومهما تنافى مع الإسلام ومع القيم الإنسانية والفطرية، كما حدث في بلدنا اليمن في الحرب السادسة؛ حيث استباح الأعداء - بتعاون بين النظام الظالم وأعداء الخارج - كل الحرمات، وتجاوزوا كل المبادئ والخطوط الحمراء، وقتلوا المئات من الأطفال، أكثر من ثلاث مائة طفل، والمئات من النساء، واستهدفوا الحياة بكل أشكالها، إضافة إلى الدين والمقدسات وبدون حق ولا مبرر وحال غير اليمن بالنسبة لبقية الشعوب ليس أيضاً بخير، وأمام واقع كهذا[٥٦].

كيف يمكن للأمة التخلص من وضعيتها السيئة:

السبيل والمخرج والطريق الصحيح أمام هذا كله هو العودة الواعية والرجوع الصادق الواعي إلى الله ملك السماوات والأرض، الرحمن الرحيم، المقتدر القاهر الجبار، العزيز الحكيم الحميد، ملك الناس، وإله الناس، ورب الناس، رب العالمين، والرجوع الواعي المبني على فهم صحيح هو الذي يعتمد كتاب الله ونوره وهديه العظيم منهجاً للتمسك به، والتثقف بثقافته، والاستبصار بنوره، والإتباع لتعاليمه، والولاء والعداء والعمل والموقف على أساسه، والتقييم والنظر إلى الأحداث من خلاله، ويعتمد على النبي محمد صلى الله عليه وآله

(٥٥) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

(٥٦) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

وسلم قدوة وقريناً للقرآن، ورمزاً ومربياً ومعلماً وهادياً وقائداً ومنقذاً، رسم للأمة الطريق من بعده، ودل على الهدى وأعلامه للأمة من بعده[٥٧].

وهنا ومن خلال هذا المفهوم بأهمية الرجوع الواعي إلى الله، وأن الصلة بالله من خلال هديه العظيم، وهداته الأولياء الدعاة إليه نلحظ قيمة المناسبة هذه ذكرى مولد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ففي طريق الرجوع إلى الله نرى أن الرمز الأول لهذه الأمة هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونحتاج إلى أن نعرف أشياء كثيرة عن رسالات الله ورسله وكتبه، ودورها في حياتنا، وعلاقتنا بها كيف تكون، ونعرف قيمتها في واقع الحياة، وأثرها في الإنسان[٥٨].

أهمية الثقة بالله في ميدان المواجهة:

إن الله ملك السماوات والأرض، والمدبر لشؤون السماوات والأرض، ملك هذا العالم، وموجد هذا الكون، وبارئ الحياة والخليقة، وهو الرحمن الرحيم الحكيم العظيم، والناس عباده، وهذا العالم تحت سلطانه وهيمنته، لم يترك هذا العالم، ولم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتخلى عنهم، ولم يُهمِلهم، بل هو ملك مدبر عظيم رحيم كريم، وكرم الإنسان، وأسجد له الملائكة، وما أسوأ أن يغفل الناس عن ربهم وإلههم، أو يظنون فيه ظن السَّوء، أو يتوهمون أنه من طبع الحياة بطابع الظلم، أو ترك عباده مهملين عبثاً وتخلى عنهم[٥٩].

إن هذا الكون وهذا العالم والأرض والسماء والخلق أجمعين مملكة الله وتحت سلطانه، وتتحكم بها سننه، وتنفذ فيها إرادته القاهرة، ونظمه الكونية، وكل يوم هو في شأن، يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، إلى غير ذلك من تدبيره الواسع[٦٠].

وهو جل شأنه أوجد الإنسان في هذه الحياة لمسؤولية عظيمة، وكرَّمه وسخَّر له ما في الكون كله ما في السماوات وما في الأرض، وقدم للعباد ما يكفل سعادتهم وعزتهم وخيرهم في الدنيا والآخرة؛ لأنه رحيم بهم، ولأنه قائم بالقسط، وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق أرسل رسله وأنزل كتبه؛ لأنه الملك الرحيم، ولرسالته ودينه وهديه قيمة في واقع الحياة، فهي ليست مجرد إرشادات روحية تؤتي ثمرة محدودة، بل هي نظام شامل كامل للحياة، وصلة بالله يترتب عليها

(٥٧) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٥٨) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٥٩) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٦٠) خطاب المولد ١٤٣١هـ.

رحمة من الله، وتدبير واسع، وتدخل في حياة الناس، وفيما يُكتب لهم أو عليهم[٦١].

ما الذي أوصل الامة الى ما وصلت اليه؟

عندما نتأمل... في واقع أمتنا اليوم وما وصلت إليه من ذل وهوان، ونعرف أن سبب هذا الذل وأن وراءه وما أوصل إليه هو ابتعادها عن رسالة الله، وعن دين تلك الرسالة التي كانت ستكفل لهذه الأمة أن تكون أمة عظيمة فوق كل الأمم، وأمة عزيزة وأمة موحدة وأمة لا مكان داخلها للظلم ولا للمنكر ولا للفساد ولا للطغيان، لكن الانحراف عن هذا، الانحراف عن رسالة الله ورسوله هو الذي أوصل الأمة إلى ما وصلت إليه، ومن شقاء أيضاً وحالة يمكن توصيفها بأنها حالة عذاب ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ [الطلاق: ٨٩][٦٢].

الإيمان الزائف بالرسول محمد

قد تكون أنت في الوقت الذي تقول فيه أنك تشهد أن محمداً رسول الله قد تكون كاذباً، قد يشهد الله أنك كاذب، كيف تكون فعلاً من المؤمنين بمحمد، كيف يكون إيمانك صادقاً، إن الله جل جلاله يقول: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] شهد الله على فئة من المنتمين للإسلام أن شهادتهم كاذبة، كاذبون يقولون ما لا يؤمنون به، يقولون ما لا يصدقه التزامهم ولا عملهم، قد تكون كاذباً عند الله، قد لا يكون إيمانك صادقاً قد يكون زائفاً، قد تكون ممن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأنت في نفس الوقت موعود بالدرك الأسفل من النار، من النار، أوليس الله يقول عن المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] يجب أن نعرف كيف يكون إيماننا بالرسول صحيحاً، كيف يكون إيماناً صادقاً[٦٣].

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن نعرف بالنسبة لمهمته كرسول أنه يجب علينا أن نحبه بعد الله، أن نعظمه، أن نوقره، أن نعطي تعليماته وتوجيهاته وإرشاداته أهمية كبيرة؛ لأنها

(٦١) خطاب المولد ١٤٣١هـ.
(٦٢) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.
(٦٣) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

مرتبطة بالله، الله جل شأنه قرن طاعة الرسول بطاعته، ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ هكذا قرن طاعته بطاعته؛ لأنه يسير على منهج الله مبلغاً عن الله، مؤدياً عن الله(٦٤).

الرسول يجب علينا أن نتولاه، أن نتولاه، وأن نعرف أنه أولى بنا من أنفسنا ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦] هو أولى بك من نفسك، هذه الولاية، وهذا الولاء ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة:٥٥](٦٥).

... إن من يذهبون إلى أعداء محمد من الزعماء العرب والأنظمة العربية والحكومات العربية، من يوالون أعداء محمد لا يمكن أبداً أن نقول عنهم أنهم يوالون محمداً، لا يمكن لك أن تجمع بين ولاء رسول الله، أن تكون متولياً له ومؤمناً بولايته عليك، ثم في نفس الوقت أنت توالي أعداءه، وتناصر أعداءه، وتقف مع أعدائه، لا يمكن أبداً، فالرسول له ولاية علينا، وهو أولى بنا من أنفسنا، وله علينا حق الطاعة والمحبة والتعظيم والإتباع والإقتداء، هذا شيء مهم(٦٦).

وحينما نتأمل... في واقع الأمة الإسلامية في المنطقة العربية وغيرها نرى أن هناك فجوة كبيرة بين انتماء الإنسان المسلم للإسلام وبين منطلقه في الحياة. فالكثير للأسف الشديد الكثير الكثير من المسلمين ينتمون للإسلام لكنهم في مواقفهم في قراراتهم في سلوكهم في أعمالهم يتحركون بعيداً عن هذا الإسلام ينسون النبي ينسون القرآن ينسون الاقتداء برسول الله ينسون أنه يجب أن يكون الموقف الذي يتخذ والقرار الذي يتخذ والسلوك الذي تكون عليه حياتهم والموقف والقول والتصرف يجب أن يكون هو ما قرره الله، ما أراده الله؛ لأن في ذلك الحكمة في ذلك العزة في ذلك القوة في ذلك الشرف وذلك هو أحسن هو الأحسن هو الأعظم هو الخير للأمة وهو الصواب(٦٧).

هذه الفجوة في واقع أمتنا بين انتمائهم وبين أعمالهم تحركاتهم ولاءاتهم عداءاتهم فالكثير من جماهير هذه الأمة يتبعون الرؤساء أو الملوك أو الزعماء، هم الأهم لديهم ما قرروه هو المهم ما أرادوه هو الذي ينبغي وينسون الله، وينسون رسول الله، وينسون كتاب الله، وبذلك

(٦٤) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٦٥) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٦٦) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٦٧) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.

من خلال هذه الفجوة خسرت الأمة عطاء الإسلام خسرت أثر الإسلام؛ لأن الإسلام وهو رسالة الله صلة مع الله إن حافظت عليه الأمة بقي لها من الله ما وعد به نصراً وعزة وقوة وتمكيناً وفلاحاً وسعادة. وحين تضيع ما يحقق لها ذلك وتتعامل مع الله بخداع لا يمكن أن يُخدع الله وتخسر الأمة كل شيء: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥](٦٨).

•••

هذا الطريق... المتمثل بدين الله ورسالته هو الموعود من الله المقتدر بالنصر والتمكين والغلبة وهذا إيماننا وهذه ثقتنا، ليس بمقدور أي أحد مهما كان ومهما كانت إمكانياته أن يطفئ نور الله، أو أن يحول دون نفوذ إرادة الله في ظهور دينه وهديه والحق الذي أنزله يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٨-٩] صدق الله العظيم.

والمستقبل للإسلام والعاقبة للمتقين والنصر للمستضعفين(٦٩).

مسؤوليتنا تجاه الرسول ورسالته

كلنا مسؤولون، مسؤولون عن أن نكون أتباعاً لهذا النبي، نسير على دربه، نأخذ بتعليماته، نقتدي به، ونتأسى به ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:٢١] أسوة نتأسى به، ونقتدي به، ونتبعه، ونطيعه، ونأخذ بتعليماته، هذا الابتعاد وهذا التجاهل أذل هذه الأمة، وجعلها تحت أقدام اليهود وتحت هيمنتهم، وجعلها أمة غبية فقدت الحكمة، وفقدت القوة، وفقدت القيم العظيمة التي تحيي النفوس وتشد المواقف وتبني الأمة(٧٠).

... إنه أمام هذا الواقع الذي تعيشه الأمة، إنه ليس لنا مخرج إلا بالعودة إلى الله، والعودة إلى كتابه، والعودة إلى نبيه عودة المستبصرين، عودة الواعين المتفهمين، عودة العاملين الصابرين المتبعين المتمسكين، هذا شيء أساسي(٧١).

---

(٦٨) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.
(٦٩) خطاب المولد ١٤٣٢هـ.
(٧٠) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٧١) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

من يتجاهلون، من لا يهتمون، من لا يُبالون إنهم خاسرون، إنهم من سيبقون في هذه الحياة أذلاء ومهانين ومستعبدين للطواغيت، ثم يكون مصيرهم في الآخرة جهنم، فيجمعون بين شقاء الدنيا وعذاب الآخرة والهوان الدائم والعياذ بالله[٧٢].

أمام هذا الواقع الذي نعيشه، وأمام المسؤولية التي علينا أمام الله، وأمام ما يمليه الواجب، وأمام ما يمليه الضمير يجب... أن نتحرك، نتحرك على أساس هدى الله، على أساس اتباع ما أنزل الله، واتباع رسول الله (صلى عليه وآله وسلم)، وأن نعود إلى النبي نستلهم منه صموده وثباته وشجاعته، نستلهم منه الصبر والعمل والجد والصمود والصبر، هذا شيء مهم، أما اللامبالاة، أما التجاهل، أما الغفلة والضياع فإنها والله الهلاك والخسران والشقاء في الدنيا، والهوان والخزي في الدنيا والآخرة والعياذ بالله[٧٣].

إن الأصوات الصادعة بالحق، والجهود التي تهدف إلى إيقاظ الأمة، وإلى إعادتها إلى مصدر عزتها وقوتها، إعادتها إلى الله، إعادتها إلى الدين، إعادتها إلى القرآن، إعادتها إلى المستوى اللائق بها أمة عزيزة، مجاهدة، صامدة تقف في مواجهة أعدائها، ومقارعة أعدائها، هذه جهود هي امتداد لجهود رسول الله، هذا ما كان يسعى له رسول الله، هذا ما يريده رسول الله[٧٤].

(٧٢) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٧٣) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.
(٧٤) خطاب المولد ١٤٢٩هـ.

وفي الأخير

يجب أن نستذكر هذا، أننا أمة محمد وأمة القرآن، فإذا كان لنا أن نتأثر بشخص، أن نتأثر برجل فإنه قبل كل أحد هو محمد، وإذا كان لنا أن نقبل تعاليم، أو أن نتحرك على أساس توجيهات، أو أن نتبع شيئاً يُقدم لنا فإنه قبل كل شيء هو كتاب الله المنزَل، آياته، أوامره، توجيهاته العظيمة.

نحن عبيد لله وعلى أساس عبوديتنا لربنا العظيم سنتحرك ولن نقبل أبداً أن يستعبدنا أحد، لن نقبل من أحد أبداً أن يبعدنا عن تعاليم القرآن، أو أن يبعدنا عما كان عليه محمد ولو فعل ما فعل، مهما كان.. ولو حصل ما حصل من أحداث وحروب أو ما شابه، لن يؤثر علينا شيء ولن يغير موقفنا شيء.

إذا كان لنا أن نخاف فإن من نخاف منه ومن جبروته ومن بطشه هو الله الملك الجبار المتكبر ملك السماوات والأرض، وإذا كان لنا أن نرغب إلى أحد فإن رغبتنا بالتأكيد هي إلى الله وإلى ما عند الله وفيما وعد الله، وهذه مسألة واضحة؛ إنه الشيء الطبيعي لهذه الأمة أن تكون على هذا النحو، أن يكون القرآن ومحمد هو الشيء الأساسي في مواقفها، في تحركها، في ولاءاتها، في عداءاتها، ونهجاً لحياتها ونظاماً لحياتها، هذا هو الشيء الطبيعي[٧٥].

(٧٥) خطاب المولد ١٤٣٠هـ.